



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

لم تكن الموحدة كسابقاتها - ولم يأت خطابها بجديد

د. عدنان صبيح ثامر



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍّ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تهّمُ الحقلين السياسيين والأكاديميين.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنما تعبّر عن رأي كاتبها.

حقوق النشر محفوظة © 2022

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

Since 2014

لم تكن الموحدة كسابقتها _ ولم يأتِ خطابها بجديد

د. عدنان صبيح ثامر *

كانت الصلاة الموحّدة التي أعلن عنها السيد مقتدى الصدر، في بيان عبر مكتبه الخاص (3 تموز 2022)، ملازمة لظروف متشجّجة أنتجتها التعاطي السياسي بين الصدرين والإطاريين بعد فشل مشروع الأغلبية الذي نادى به الصدر وحلفاؤه، ممّا أدّى إلى انسحاب الصدرين من البرلمان. وكان ذلك الانسحاب بوابةً لتكهّناتٍ متعلّقةٍ بالشلل الذي سيصاحب تشكيل الحكومة خصوصاً أنّ الصدر لم يحدّد المراحل اللاحقة، وما صورة المعارضة التي سيتبعها وهو خارج البرلمان؟ وتلك المعارضة ستقف عند حدود الاعتراض والتوجيه والاستعداد للمرحلة المقبلة؛ أم هي كفيلة بإنتاج نظام آخر يصنعه الفوران الشعبي التابع للصدرين؟ ومع تلك التكهّنات جاء الرد الصدري بأنّ هناك صلاة موحّدة لأتباعه من جميع المحافظات العراقية في بغداد (مدينة الصدر) -المعقل الأبرز لتابعيه-، وتشكيل لجنة لإدارة ملف التحضيرات للصلاة أبرز من فيها حاكم الزاملي (نائب رئيس البرلمان المستقيل)، في تحضير ذهني على أنّ الصلاة لها ارتباط بالوضع السياسي القائم، وانسحاب الصدرين وتشكيل الحكومة، وإلا كيف يمكن تفسير وجود الزاملي وهو سياسي في فعالية عبادية؟ معطيات تؤشّر إلى حدوث شيء، صلاة في بغداد مركز الحكومة والأحزاب السياسية المناوئة للصدر (بدلالات سياسية)، إذ لم تحدّد الكوفة لإقامتها، مع الرمزية الكبرى التي تحملها منبرية الكوفة، وعلاقتها بأول صلاة أقيمت للسيد محمّد محمّد صادق الصدر، خصوصاً بعد الإعلان بأنّها ذكرى أول صلاة جمعة أقامها الصدر (عام 1998)، فترك الكوفة والتوجّه إلى بغداد يعني بأنّ هناك تحضير سياسي، وبقي مرتبطاً بالتكهّنات التي رفعت من سقف التوقّعات، والأمنيات لبعضهم، والخشية لبعضهم الآخر، كلّ وفق توجهاته (السياسية). تضاف إلى تلك المعطيات أنّ هناك شعاراً أطلقه أتباع الصدر على وسائل التواصل الاجتماعي (جاهزون)؛ تبعه استقالة الصدرين، وسبق الدعوة للصلاة الموحّدة، وجاء بعدها الدعوة إلى صلاة موحّدة، ومن ثمّ فهي أول فعالية شعبية يقيمها الصدريون بعد انسحابهم من البرلمان؛ لذا فارتباطها سياسي، وأجواؤها مشحونة، وتوقعاتها تتجاوز الحدود المقرّرة لها (دينية، واستذكارية، وعبادية).

ولا يمكن إغفال ارتباط موعدها بقرب بداية الفصل التشريعي للبرلمان، والذي من المتوقع أن يباشر عن طريقه بانتخاب رئيس الجمهورية، واختيار رئيس الوزراء.

* باحث في الأنثروبولوجيا.

تلك المعطيات كفيلا بإرسال رسائل سياسية مفادها أنّ الصديين سيكون لهم موقف حيال أيّ تقدّم في تشكيل الحكومة، إلا أنّ التساؤل كامن في حدود ذلك الموقف؟ ومدى توسعه؟ التفكير في هذين السؤالين هو الذي يحدّد السياق الخطابي للجمعة الموحدّة، بل يفكك كثيراً من المعطيات التي سبقتها، وممكن له أن يؤكّد، أو يفنّد بعضها.

هناك عدد من المعطيات تحجم فكرة توسّع الموقف الصدي إلى حدود أوسع من الصلاة والخطبة، حتى إن سبقها ترويحاً ذا سقف عالٍ، ربّما كان دافعه إرسال رسالتين؛ الأولى للمناوئين بأنّهم يملكون الجمهور الذي عن طريقه يستطيعون فعل أيّ شيء، والرسالة الأخرى كان التصعيد متعلقاً بربط الجمهور بالفعل السياسي، والذي سيكون دافعاً لحضورهم بصورة كبيرة.

أمّا المعطيات التي تحجم فكرة توسّع الموقف فيمكن إدراجها بعدد من النقط الآتية:

1. مرّ الصديون بتجربتين، الأولى هي في العمل المسلّح، والأخرى في العمل السياسي، وقد نمت قدرتهم ووجودهم وقوتهم في العمل السياسي أكثر من العمل المسلّح.
2. توفّع الصدر بالالتفاف الجماهيري بعد انسحابه خصوصاً من التشرييين الآن ذلك لم يحصل، وبقي الصديون يمثّلون أنفسهم فقط، لذا فإنّ أيّ توسّع في العمل فهو يمثّل الصديين وحدهم، من دون دعم واسع لشرائح مختلفة.
3. يريد الصدر تعزيز فكرة المعارضة الشعبية غير المرتبطة بالتخريب، فلا يمكن لأول بادرة له بعد الانسحاب من البرلمان أن يتجه إلى أي عمل يوعز له التخريب.
4. منذ دخول الصديين في العمل السياسي وإلى الآن لم يدخلوا في مواجهة معلنة مباشرة مع أيّ طرف سياسي، وتلك مكان قوتهم؛ إذ لم تختبر بعد. فلا يمكن الإفصاح عنها بالدخول في نزاع يكشف حجم أيّ طرفٍ وقوّته.
5. مع انسحاب الصديين من البرلمان؛ فإنّهم لم ينسحبوا من مفاصل الدولة فما زالوا موجودين في الحكومة والهيئات ومناصب رفيعة؛ إذ يعني التوسّع الاحتجاجي أنّهم يتخلون عن كلّ شيء، ويبدو أنّ ذلك لم يكن بعد.

كل تلك المعطيات كانت تدلُّ على أنَّه لا تصعيدَ في الصلاة الموحَّدة، وستكتفي بالرسالتين المذكورتين آنفاً ل(جمهوره، ومناوئيه).

الدخول في الخطبة

كلُّ ما يدور حول الخطبة من أجواء وحشود، وتصوير لدخول أبناء المحافظات الجنوبية، فضلاً عن التحضيرات المتعلِّقة بالمكان، زادها التلميح إلى وجود الصدر في بغداد قبل يوم، وإنزال صور أُشيرَ فيها إلى أنَّه في زيارة للإمام الكاظم (ع) زادت من حماس الحضور لدى الجمهور الصدري، والانتظار لدى الجمهور الآخر. فالمفاجئة لجمهوره بعدم وجوده والاقتصار على خطبة مكتوبة يقرأها من ناب عنه، قلَّ من زخم التوقُّع، وبقيت رسائل الخطبة تحمل أعباء التحضير الكبير، والتجمُّع غير المسبوق، والعاطفة المتكوِّنة في أيام التحضير، وما رافق ذروتها من تسريبات، ومناكفات إعلامية قامت بتغذيتها صفحات تابعة للصدريين ومناوئهم.

ابتدأت الخطبة في بيان نعمة استمرار صلاة الجمعة، وهي رسالة أولى في أنَّ التجمُّع؛ لأغراض عبادية تخفِّف من زخم التوقعات في الذهاب باتجاهات أخرى. معرَّزة بعبارة تستنهض همم الحاضرين وتفعّل مشاعرهم نحو القادم من الخطبة (واستمروا على الجمعة، حتى لو مات مقتدى الصدر)، فدائماً كانت هذه العبارة تستفز مشاعر الصدريين وتدفعهم في الوقوف بقوة مع إرادة السيد مقتدى الصدر.

ثم أشار بعد ذلك إلى الرسالة المهمة التي أراد إيصالها والمتعلِّقة بتشكيل الحكومة بإشارته (من قبل الذين لا نحسن الظن بهم، والذين جربناهم سابقاً، ولم يفلحوا) وتلك فيها دلالة عامة إلى الإطار التنسيقي الذي أوكلت إليه مهمة تشكيل الحكومة بعد انسحاب الصدريين، إلا أنَّ استدعاء لقول سابق للصدر بأنَّ هناك في الإطار التنسيقي من نحسن الظن بهم، تعني بأنَّه يُشير إلى طرف بعينه، خصوصاً مع زيادة عبارة (من جربناهم سابقاً ففشلوا) ممَّا يؤكِّد أنَّ المقصود بذلك هو دولة القانون وزعيمها السيد نوري المالكي؛ ممَّا يعطي الرسالة الأولى بأنَّ الصدر ومع انسحابه فهو ما زال يعطي رأياً في التشكيل، وأول تلك الآراء أنَّه يضع خطوطاً حمراء على تسلُّم المالكي للسلطة مرة أخرى.

ثم يقدِّم خارطة طريق لمشكلي الحكومة القادمة على صورة نقط، قبل الدخول في تفصيلاتها تعني بأنَّ الصدر لا يمانع من أن يشكلوا الحكومة أولاً -بدلالة ألا تصعيد قريب للصدريين حتى

تُختار الكابينة- وما بعدها تُنفذ النقط ثانياً.

نقط الخطبة التي دعا الصدر إلى الالتزام بها:

1. (إخراج ما تبقي من الاحتمال بالطرائق الدبلوماسية والقانونية).

أغلب الخطابات الموجهة من السيد الصدر للطرف الشيعي الآخر تتحدّث عن إخراج المحتل؛ ليُشير إلى أسبقيته في مواجهته، وعدم تأييدهم في الدعوة إلى مقاتلة المحتل بإشارته إلى (الطرائق الدبلوماسية والقانونية).

2. (أولى خطوات التوبة محاسبة فاسديهم وبلا تردّد).

وهذه واحدة من النقط التي سيبقى الصدر يواجه بها مشكلي الحكومة، لأنّه لا توجد أعداد متفق عليها بالفسادين ولا أسمائهم، ومن ثمّ أي عملية محاسبة ستبقى محل جدل في أنّها تغاضت عن أطراف آخرين. أمّا من جهة أخرى فإنّ الصدر يُعطي رسالة مكرّرة بأنّ الطرف الآخر الذي سيشكل الحكومة فيه من الفاسدين، وقد أشار إلى ذلك أكثر من مرة. خصوصاً مع التأكيد على الأطراف الشيعية منها، فهي تعرية لهم أمام الجمهور.

3. (كلنا يعلم أنّ المرجعية أغلقت بابها بلا استثناء، وهذه سبّة لسياسي الشيعة بالخصوص، ولذا أطلبهم بطلب العفو منها بعد التوبة أمام الله).

وتلك تعرية أخرى أمام الجمهور، والتذكير بإغلاق المرجعية أبوابها، فالسيد الصدر يعلم بسياق التعاطي المرجعي فهي لا تتعاطى مع طلبات العفو، أو التوبة، وإمّا بتغيير المنهج، والإصلاح الحقيقي؛ وفق خطبها ودعواتها.

4. (إنّ أغلبهم غير مقتنع بأنّ حب الوطن من الإيمان فصارت توجهاتهم خارجية ومن هنا أطلب بتجذير حب الوطن والتعامل مع الدول الأخرى بالمثل).

وتلك استمرار لنقط يُشير إليها الصدر دائماً في أنّ مناوئيه يتبعون قرارات خارجية، فهي بيان نقط يعدّها مساوئ الطرف الآخر أكثر من عدّها خارطة طريق. خصوصاً وهو يردفها في نهاية النقطة ب(ترك التبعية المقيّنة).

5. (لا يمكن تشكيل حكومة قوية ووجود سلاح منفلت، ومليشيات منفلثة؛ لذا عليهم أجمع التحلي بالشجاعة بحل جميع الفصائل، وإن عاد المحتل عدنا).

كانت تلك النقطة محضر لها من النقطة الأولى، والتي دعا فيها إلى إخراج ما تبقى من المحتل بطرائق دبلوماسية برلمانية، والتي أراد بها انتزاع صفة الشرعية من فصائل المقاومة، وهو لم يُشير إلى أنّها تحمل صفة المقاومة، بل هو يؤكّد أنّ المحتل غير موجود، عن طريق النقطة الأولى (ما تبقى من المحتل)، وتذييل النقطة الخامسة بـ(وإن عاد المحتل عدنا)، بإشارة إلى أنّه يشترك في صفة مقاومة المحتل ولم تكن الميزة خاصة بهم.

6. (باسمي واسم الحشد الشعبي نشكر أهالي المناطق المحرّرة أن رضوا بنا محررين، ولولا تعاونهم لما حرّرت الأراضى، فلا منّة للحشد عليهم).

قد تكون تلك النقطة من أكثر النقط إثارة للحساسية، وردود الأفعال لدى الجمهور الحشدي، إلا أنّ الصدر وضعها في سياق حامل للتأويلات، قد يفهم منه بأنّه لا يقصد الإساءة للحشد، وقد يفهم بأنه يريد إبقاء قنوات التواصل مفتوحة مع الجمهور السني؛ خصوصاً أنّه قد أغلقه مع الأطراف الشيعية المنضّمة تحت الإطار التنسيقي. وفي ذلك حساب مستقبلي لأيّ حركة صدرية مقبلة في أنّ خطاب الصلاة الموحدة كان موجّهاً نحو القوة الشيعية فقط، ومن عودة التحالف الثلاثي في أي حركة مقبلة، أو حتى تحالف انتخابي مقبل.

ويكمل النقطة (بضرورة تنظيم الحشد الشعبي وتصفيته من العناصر غير المنضبطة، والاهتمام بالمجاهدين منهم، وبحقوقهم، وعدم تفرقتهم عن القيادات بالامتيازات)، من دون أن يُشير إلى أيّ صفة مادحة للحشد، وأنّ الحشد هو الرأسمال الرمزي للإطار التنسيقي يحاول الإشارة إليه والتخفيف من رمزياته. وبالحديث عن (إبعاده عن التدخّلات الخارجية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية؛ حفاظاً على سمعة الجهاد والمجاهدين) ما هو إلا إشارة إلى وجود تلك التدخّلات.

7. (لا تعيدوا الجرّب فإنّه سيستمر بغيه، فلا نريد أن تعاد المأساة القديمة، ويُباع الوطن، وتتكرّر مأساة سبايكر، أو الصقلاوية وغيرها، وروضوخ للشرق والغرب)

بعد الإشارة الأولى في بداية الخطبة إلى المجرب الفاشل -والذي لا يُحسن الظن به- كانت الإشارة واضحة إلى السيد المالكي، وليس جميع الإطاريين.

ومع وجودها في النقطة السابعة قد يفهمه بعضهم بأنه تكرار، والمقصود به السيد المالكي، إلا أنَّ سياق النقطة يُشير إلى أنَّه يقصد السيد المالكي، والسيد العبادي، وما قوله بإعادة مأساة سبايكر والصقلاوية فإنَّ سبايكر حدثت في زمن السيد المالكي، والصقلاوية حدثت في زمن السيد العبادي، ثمَّ يُؤكِّد ذلك المسار من التحليل بالإشارة إلى الرضوخ إلى الشرق والغرب، مصاحبة (سبايكر الشرق) قرب السيد المالكي من إيران، (الصقلاوية، الغرب) قرب السيد العبادي من أمريكا. فالجديد في هذه النقطة أنه يبعد في نقطه السيد العبادي عن رئاسة الوزراء الذي ربَّما كان قبل ذلك يعدُّه من الذين يُحسن الظن بهم.

8. (جيش العراق وشرطته يجب أن تحترم، ويحقن دمها ووقف الاعتداء عليها من الميليشيات أو حتى مَن يدَّعي الثورة).

تستمر الخطبة في بيان أنَّ للطرف الآخر سلبيات، والخطبة مخصصة لإبرازها، وما هذه النقطة إلا لبيان أنَّ الجيش العراقي يُعتدى عليه من قبل الفصائل، إلا أنَّه أضاف لها (مَن يدَّعي الثورة) لبيان الموضوعية في الخطاب أولاً، وليبيان أنَّه إذا كانت هناك ثورة مستقبلية للصديريين فإنَّ الجيش والشرطة محترمون ولا يمكن التجاوز عليهم ثانياً.

9. (الاعتناء بأهالي المناطق المحررة وإبعاد الميليشيات عنها والتجار الفاسدين).

لا جديد عن النقطة السادسة في التعاطي مع المناطق السنية، إلا أنَّها أكثر وضوحاً في التعبير عن إبعاد الميليشيات، والتجار الفاسدين، والغريب هو عدم ذكر السياسيين في المناطق المحررة ممَّا يدلُّ بأنَّه يبقى الباب مفتوحاً معهم. ويذكر في نهاية النقطة (بل وعدم التغافل عن مناطق الوسط والجنوب التي عانت الأمرين)، فذكر المناطق المحررة مرتين، وذكر مناطق الوسط والجنوب مرة واحدة، وفي تبعية لنقطة خاصة بالمناطق المحررة يدلُّ على أنَّ تلك الخطبة سياسية بامتياز، وتسعى إلى تعرية الخصوم أكثر من أنَّها خارطة عمل للحكومة المقبلة.

01. (شهداء العراق من الإرهاب والاحتلال والاحتجاجات يجب أن تعطى حقوقهم). وتلك دلالاتها واضحة وسياقها مطلي.

11. (ولكلام تنمة إن بقيت الحياة، وإن لم تبَق الحياة فأسألکم الفاتحة والدعاء).

يربط تلك النقطة الجمهور به بأنَّ لهم كلاماً آخر فانتظروه، وهي وسيلة خطابية لبقاء

التواصل مع الجمهور، معيداً التعاطف الذي بدأ به (إن بقيت الحياة).

- قراءة في رسائل الخطبة

لم تكن الخطبة تحمل كماً ترميزياً عالياً، فقد كانت واضحة وغير مشقّرة، وهذا هو السياق الخطابي للسيد الصدر، وسر من أسرار ارتباط جمهوره به.

إلا أنه من الممكن الإشارة إلى عدد من المعاني التي خرجت بها الخطبة والتي يمكن وضعها في عدد من النقط الآتية:

1. لم تكن الخطبة موجهة إلى الجمهور الصدري إلا في بيان أهمية الاستمرار على صلاة الجمعة، وكانت مدخلاً عبادياً لا أكثر، ولم تكن من ضمن النقط العشر.

2. أغلب النقط كانت موجهة إلى الإطار التنسيقي وبيان إخفاق كتله. (المجرب الفاشل، والسلاح المنفلت، وعدم رضا المرجعية عنهم، والحشد الشعبي وتنظيمه، ومجزرة سبايكر والصقلاوية، والارتباط بالخارج... إلخ).

3. لم تحمل إشارات الخطاب جديداً للجمهور الصدري والجمهور الآخر، فجميع النقط الواردة قد ذُكرت في تغريدات للسيد الصدر، أو مقابلات سابقة، إلا في بعض الإشارات مثل الإشارة التي رمزت إلى السيد العبادي، وفتح قنوات خطابية مع جمهور المناطق الحرّة. وتلك النقطة متعلّقة بخطاب السيد الصدر عموماً، فهو لم يترك مجالاً للتدرُّج الخطابي؛ ليكون هناك جديد في كل خطاب، وقوة خطابه في ذكر كل شيء بوضوح، يمنع المفاجئة في الخطاب اللاحق إلا في وجود أحداث جديدة.

4. تُعدُّ المرجعية الدينية رأسمال رمزي للأحزاب الإسلامية الشيعية، فكانت الإشارة إلى عدم رضا المرجعية عنهم؛ لإبعاد هذا الرأسمال، فضلاً عن تطرّقه لرأسمال آخر وهو الحشد الشعبي بإشارته إلى ضرورة تنظيمه.

5. إعطاء الضوء الأخضر لتشكيل الحكومة بشروط لا يمكن تحقيقها في القريب العاجل، ممّا يعني بأنّه يُبقي الباب مفتوحاً للاحتجاج على الحكومة المشكّلة وإسقاطها بتبريرات وضعها مسبقاً.

6. وجود نقط والتزامات، أي: إنَّ الباب لم يغلق تماماً، ولا يوجد تصعيد قريب كذاك.

وفي الختام فقد أوصل الصدر رسائله بجمهوره، وكانت الخطبة برسائل أخرى أبقاها مفتوحة. فرساله بجمهوره باقية بهذا الزخم الكبير، ورسائل الخطبة تبين أنّ تشكيل الحكومة ممكن بشروط، أمّا النقط فهي صعبة التحقيق، وباب لاستعمال الجمهور في ضرب مَنْ وُجِّهَتْ لهم الرسائل، ولكن برسائل أخرى بقوله (وللكلام تتمّة).